[309] المولى، على أنه وإن احتمله، فما حملناه عليه وهو الإمارة أكثر فائدة ترجح قالوا: إن دلت مقدمته على أولوية التصرف، دلت مؤخرته على النصرة في قوله صلى ا عليه وآله: (وانصر من نصره). قلنا: لا يتبادر إلى الذهن إلا ولاية التصرف فإنه غير لائق إلا بسلطان له أولياء وأعداء وخذال وأنصار. قالوا: قد كان الغدير بعد عام الفتح فأراد النبي صلى ا عليه وآله أن يبين به لمن هو قريب الاسلام عظم منزلة علي، ليذهب ما في نفوسهم من الحقد له، لقتله أقاربهم. قلنا: لم يشك أحد من المسلمين وغيرهم في عظم منزلته من رسوله، لقيام الدين بسيفه دون غيره، فلم يحسن من النبي صلى ا عليه وآله مع شدة الحر، تعريف ما يعترف كل أحد به. قالوا: إمامته عندكم ثابتة بالنص الجلي فلا فائدة بعده بالنص الخفي. قلنا: لم يكن النص الجلي بمثل هذا الجمع العظيم، فقصد النبي صلى ا عليه وآله شهرته لقرب وفاته منه، فصار إظهاره مضيقا عليه، لمسيس الحاجة إليه.

قالوا: في القرآن لفظة أولى لغير الولاية (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه (1)) وفي العرف التلامذة أولى بالأستاذ، والرعية أولى بالسلطان. قلنا: ذلك لا ينافي ما قلناه إذ معناه الذين اتبعوا إبراهيم أولى بالتصرف في خدمته دون غيرهم، وكذا الآخران.

وبالجملة فاللفظة لا تحتمل غير ما فهم منها الحاضرون، ولو تركت هذه الاعتراضات، وخلي العاقل عن النظر فيها، لم يفهم سوى ما ذكرناه، والماء الصافي إذا خضخض في منبعه تكدر، وإذا ترك صفا، فكذا في هذه ونحوها وبا العصمة من ذلك، وهذه الوجوه وإن تكررت ألفاظها فإنما هي للاستيناس بها. إذا شعرت بهذا الباب، فلنورد فيه شيئا مما شعرت أولوا الألباب فقال علي عليه السلام:

_____ (1) آل عمران: 68.